

علم القراءات ودوره في ترسيخ القيم الإسلامية: دراسة تحليلية

**The science of Qur'anic readings and its role in establishing
Islamic values: an analytical study**

أ. د. عبد الله عثمان علي المنصوري*

جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية،
abdullah1971m@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/16 تاريخ القبول: 2021/01/31 تاريخ النشر: 2021/03/30

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تجلية مفهومي القراءات القرآنية والقيم الإسلامية، وبيان أهميتها، واستنباط بعض القيم الإسلامية من تراجم القراء السبعة، ومن أهم علم القراءات، وكذلك استنباط بعض القيم الإسلامية من وجوه بعض القراءات القرآنية، وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، وقد خرج بجملة من النتائج، أهمها: هناك علاقة وطيدة بين القراءات والقيم الإسلامية، فالقراءات تعد مصدراً أصيلاً للقيم الإسلامية، وأن تراجم القراء السبعة ومصنفات علم القراءات زاخرة بالقيم العلمية والتربوية والروحية، كما أن المنظومة القيمية التي بنيت على وجوه القراءات واسعة بحيث شملت الفرد والمجتمع، وشملت مجالات القيم المتعددة: كالقيم التربوية، والعقدية، والاجتماعية، والسياسية وغيرها.

الكلمات المفتاحية: القراءات؛ القيم؛ كتب القراءات؛ تراجم القراء؛ وجوه القراءات.

Abstract :

This research aims to clarify the concepts of Qur'anic readings and Islamic values, to show their importance, to deduce some Islamic values from the seven reciters' translations, and from the most important science of readings, as well as to deduce some Islamic values from the faces of some Qur'anic readings. The researcher followed the inductive, analytical and deductive approach. Among the results, the most important of which are:

There is a close relationship between the readings and Islamic values. The readings are an original source of Islamic values. And that the seven readers' biographies and the compilations of the science of recitation are full of scientific, educational and spiritual values, and that the value system built on the faces of the recitations is broad enough to include the individual and society, and included multiple areas of values. Such as educational, dogmatic, social, political and other values.

Keywords: the readings; values; books of readings; translations of the readers; the faces of the readings.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللَّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد: ففي هذا العصر الذي غلبت فيه النزعة المادية، واشتد سعار الغزو الثقافي المحقق بأمتنا من كل حدبٍ وصوب، وأصبح مستقبل أجيال الأمة في خطر داهم لا بد من العودة إلى جذور الثقافة الإسلامية ومعالمها الأصيلة لتقوية المناعة الفكرية للأجيال، وتحصينهم من الذوبان والتلاشي أمام كل قادمٍ ودخيل، واستلهاهم مقومات النهوض الحضاري من جديد.

وإن في تراث الأمة العلمي مقومات النهوض والحفاظ على هوية الأمة في مختلف العصور، سواء فيما تضمنته تلك العلوم من عناصر الخيرية والنهوض، أو فيما تحلى به نقلة تلك العلوم من حسن الديانة، والحفظ، والإتقان، والضبط، والورع، والزهد، وغيرها من جميل الشيم، وكريم الأخلاق، وجليل القيم.

ومن تلك العلوم علم القراءات القرآنية، الذي يستمد مكانته من تعلقه بكتاب الله تعالى، أشرف كتب الله، وأعظمها وأجلها؛ والمنزل عليه أفضل نبي أرسل، وأمته خير أمة أخرجت للناس، وحملته أشرف هذه الأمة، وقراؤه ومقرؤه خير هذه الأمة.

ولقد كان هذا العلم بحق من أخص علوم القرآن بل وعلوم الإسلام على الإطلاق التي حافظت على أهم خصيصة من خصائص الأمة ألا وهي اتصال إسناد القرآن الكريم من يومنا هذا عبر أعلام الأمة الفضلاء إلى خير القرون، ومنها إلى النبي الكريم محمد ﷺ، المبلغ عن الله تعالى، ثم إلى جبريل عليه السلام أمين الوحي، إلى رب العزة والجلال.

وبناء على ما تقدم رأيت أن أبحث في دور هذا العلم في بناء القيم الإسلامية، وجعلته تحت عنوان: (علم القراءات ودوره في ترسيخ القيم الإسلامية: تحليلية).

وترجع أهمية دراسة القيم من خلال علم القراءات إلى خصيصة بارزة تفرد بها هذا العلم دون سواه من العلوم، فهو العلم الوحيد الذي يشترط الإجازة في ناقله، فلا بد لمن يريد أن يكون مقرئاً من الأخذ من أفواه الشيوخ المتقنين، وأنه لا عبرة عند القراء بحفظ كتب القراءات ولو جميعها ما لم تؤخذ القراءة بالعرض على الشيوخ والسماع من لفظهم، كما أن هذا العلم قد أثرى المكتبة الإسلامية بكمٍ وافر من الكتب والمؤلفات التي تخدم كتاب الله؛ وكان له أثر كبير على حياة الأمة وثقافتها، وكان لرجال هذا العلم شرف الذود عن حياض الدين من فجر الدعوة.

أسباب اختيار موضوع البحث: دفعني لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه عدة أسباب، أهمها:

1. جلاله علم القراءات القرآنية، والحاجة الماسة لاستخراج مكنوناته، ومنها القيم.
2. أهمية القيم في حياة المسلم ورفق المجتمعات (بالقيم ترتقي الأمم).
3. المساهمة في تأصيل قضايا الثقافة الإسلامية؛ ومنها القيم من خلال البحث في علم القراءات.

تساؤلات البحث: يطرح هذا البحث جملة من التساؤلات التي سيسعى للإجابة عليها، وهي:

1. ما مفهوم كلّ من القراءات القرآنية، والقيم، وما تصنيفاتها وأهميتها؟
2. ما أهم القيم الإسلامية التي يمكن استنباطها من تراجم علماء القراءات؟
3. ما أهم القيم الإسلامية التي يمكن استنباطها من مؤلفات علم القراءات؟
4. ما أهم القيم التي يمكن استنباطها من وجوه بعض القراءات القرآنية؟

أهداف البحث: يروم هذا البحث - بعون الله تعالى - تحقيق الأهداف الآتية:

1. تجلية مفهوم القراءات القرآنية، ومفهوم القيم الإسلامية.
2. استنباط القيم الإسلامية من تراجم علماء القراءات، ومن أهم مصنفاتهم.
3. استنباط القيم الإسلامية من وجوه بعض القراءات القرآنية.
4. التنبيه على أهمية القيم التي تضمنها علم القراءات، والدعوة إلى التحلي بها، وتطبيقها في واقع الحياة.

منهج البحث: يقتضي هذا البحث أن أتبع المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، وذلك باستقراء القراءات القرآنية وتوجيهها وتحليل الآراء والأفكار الواردة في مؤلفات أئمة القراءات القرآنية وسيرهم، وتحليل نماذج مختارة من وجوه القراءات وبيان ما تزخر به من القيم.

الدراسات السابقة: هذا الموضوع - بفضل الله تعالى - جديد في مبناه ومعناه؛ حيث قام الباحث بحسب جهده - المتواضع - بتتبع الدراسات التي تناولت العلاقة بين علم القراءات والقيم فلم يظفر من ذلك بشيء، فكان ذلك محفزاً على البحث فيه، ومحاولة تأصيله؛ ليكون فاتحةً لأبحاث لاحقة في هذا المجال.

خطة البحث: تشتمل خطة البحث على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وتساؤلاته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث، وفيه:

أولاً: مفهوم القراءات في اللغة والاصطلاح

ثانياً: مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح

ثالثاً: تصنيف القيم الإسلامية وأهميتها

المبحث الثاني: علم القراءات ودوره ترسيخ القيم الإسلامية:

المطلب الأول: دور مؤلفات علم القراءات ترسيخ في القيم

المطلب الثاني: دور تراجم القراء السبعة في ترسيخ القيم

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من وجوه القراءات وأثرها في بناء وترسيخ القيم:

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار النظري للمبحث:

أولاً: مفهوم القراءات في اللغة والاصطلاح:

القراءات في اللغة:

جمع قراءة، وهي مصدر (قرأ)، يقرأ قراءة وقرآنًا، وهي في الأصل الجمع والضم، يقال: قرأ السَّيِّءَ، أي: جَمَعَهُ وضمَّ بعضه إلى بعض، ويقولون: ما قرأت هذه الناقة سَلَى قط، كأنه يراد أنها ما حملت جنينًا قط، قال عمرو بن أم كلثوم:

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خِلاءٍ وَقَدْ أَمِنْتُ عِيُونَ الكَاشِحِينَا
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أدمَاءٍ بِكَرٍ هِجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا⁽¹⁾

وسمي قرآنًا؛ لأنه يجمع السُّورَ فيضُمُّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:

17]، أي: جَمَعَهُ وقرآته، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 18]، أي: قِراءَتُهُ، وقيل معنى: (قرآناه): بيناه، (فاتبع قرآنه)، أي: فاعمل به⁽²⁾. وكل شيء جمعته فقد قرآته، وسمي القرآن قرآنًا؛ لأنه يجمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض⁽³⁾. وقرأ الآية من القرآن: تلاها؛ نطق بها عن نظر أو عن حفظ، وقرأ القرآن عن ظُهر قلب: حفظًا دون كتاب⁽⁴⁾ وعليه فالقراءة في اللغة لها معان، أهمها: الجمع والضم والنطق والتلاوة.

القراءات في الاصطلاح: تعددت تعريفات القراءات، ولذا سوف نختر منها ثلاثة حتى لا يطول البحث، كالآتي:

عرف ابن الجزري القراءات بقوله: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً

لناقله"⁽⁵⁾.

(1) شرح المعلقات السبع، الزوزني، (ص: 218).

(2) تهذيب اللغة: (209/9)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (65/1)، مقاييس اللغة: (79/5)، شمس العلوم:

(5457/8)، لسان العرب: (182/1)، مادة: (قرأ).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر: (30/4).

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة (1789/3).

(5) منجد المقرئين، (ص: 49).

وقيل: هي علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع⁽¹⁾.

وقيل هي: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها⁽²⁾.

ثانياً: مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح: القيم في اللغة:

جمع قيمة، والقيم: الاستقامة، وفي حديث: (قل آمنت بالله ثم استقم)⁽³⁾، فسّر على وجهين، قيل: هو الاستقامة على الطاعة، وقيل: هو ترك الشرك، وأقمت الشيء وقومته، فقام بمعنى استقام، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: 5]، وقرئت: (قياماً)، و(قيماً)⁽⁴⁾. يقال: هذا قوام الأمر، وملاكه. المعنى: التي جعلها الله تقيمكم فتقومون بها قياماً، فهو راجع إلى هذا، والمعنى جعلها الله قيمة الأشياء فيها يقوم أمركم⁽⁵⁾. ومن حسن التوافق أننا ونحن بصدد التعريف اللغوي للقيم أن نجد في هذه الآية قراءتين متواترتين فيهما دلالة على المعنى اللغوي للقيم بل ومنها يتشف المعنى المقصود في البحث.

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ [الروم: 43] فمعناه: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الحق والخير ومحاسن الأخلاق والسلوك؛ أي: فأقم وجهك أيها الإنسان الموضوع في الحياة الدنيا موضع الابتلاء، واجعله موجهاً دوماً للدين القيم، وهو الدين الذي اصطفاه الله الرب لعباده؛ ليؤمنوا به وليعملوا بأحكامه وتعاليمه ما داموا في الحياة الدنيا؛ أي: فاجعل وجهك دوماً موجهاً للدين القيم حتى آخر رحلة امتحانك في الحياة الدنيا⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ لطائف الإشارات لفنون القراءات: (170/1)، إتحاف فضلاء البشر: (6/1).

⁽²⁾ مناهل العرفان في علوم القرآن: (284/1).

⁽³⁾ مسند الإمام أحمد بن حنبل، الحديث رقم: (15416)، (141/24)، وصحح الألباني، بنظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، (ص: 785).

⁽⁴⁾ قرأ نافع وان عامر (قِيَمًا) بغير ألف، وقرأ الباقر (قِيَامًا) بالألف. المبسوط في القراءات العشر، (ص: 175).

⁽⁵⁾ معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (14/2)، وينظر: لسان العرب: (498/12)، تاج العروس: (592/17).

⁽⁶⁾ معارج التفكير ودقائق التدبير: (171/15).

"وقيمة الشيء: الثمن الذي يعادل تكلفته، وقدره، ويقال: فلان ذو قيمة، ويقال عديم القيمة: أي: لا خير فيه أو لا أهمية له. والقيم: الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: 161]، وعلم القيم: علم يشمل القيم أو الفضائل، وبوجه خاص القيم الأخلاقية"⁽¹⁾.

ومما تقدم يتضح أن (قَوْم) استعملت في اللغة له معانٍ كثيرة، الاستقامة، وقدر الشيء وقيمته الشيء وثمنه، والاعتدال ونظام الأمر وملاكه وعماده، والثبات والاستمرار، ولعمري إن كل هذه المعاني قريبة لمؤدى هذا البحث ومقصوده.

القيم في الاصطلاح:

تضمن مصطلح القيم الكثير من التعريفات التي تنوعت واختلفت باختلاف أصحابها، ومنطلقاتهم الفكرية ومجالاتهم الدراسية، والثقافة التي ينتمون إليها بكل ما تحمله تلك الثقافة من تعاليم دينية وروى تربوية وفلسفية واجتماعية وسياسية واقتصادية تعد أصولاً فكرية تحكم النظرة والتفاعل مع القضية القيمية⁽²⁾، ومن تعريفات للقيم الإسلامية:

القيم: هي مجموعة متناسقة من المفاهيم والتصورات والأفكار والأحكام والمعايير المتعلقة بطبيعة وجود المنافع والفوائد في حقائق الأشياء والأفعال والأقوال من وجهة النظر الإسلامية⁽³⁾.

وقيل هي: مجموعة من المعايير والمبادئ التي ارتضاها الشرع، فحكم من خلالها على السلوكات من حيث الرغبة بها أو عنها⁽⁴⁾.

وقيل هي: مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل، وهذه القيم تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى ومع نفسه، ومع البشر ومع الكون⁽⁵⁾.

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة: (1878/3).

(2) تعلم القيم وتعليمها، ماجد الجلاد، (ص: 21).

(3) نظرية القيم وتطبيقها التربوية، مقداد يالجن، (ص: 49).

(4) الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، السيد الشحات أحمد حسن، (ص: 68).

(5) المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة النبوية، مروان القيسي، (ص: 3223).

ثالثاً: تصنيفات القيم الإسلامية وأهميتها:

أ- تصنيفات القيم الإسلامية: تعددت تصنيفات القيم الإسلامية، ومن تلك التصنيفات:

تصنيفها إلى قسمين، وهما: القيم الآمرة: وهي التي أمر بها الله تعالى ورسوله ﷺ، والقيم الناهية: وهي التي نهى عنها الله تعالى ورسوله ﷺ، واعتبر الإيمان بالله تعالى القيمة الإسلامية الأولى للمسلم⁽¹⁾.

كما صنفت إلى ستة أقسام، وهي: قيم العقيدة: وتتعلق بتوحيد الله وربوبيته وغيرها، قيم تشريعية: وتتعلق بقضايا اليتامى والإنفاق وغيرها، قيم اجتماعية: كالتعاون، والتكافل الاجتماعي، قيم سياسية: كالوفاء بالعقود والمواثيق والسلم، وغيرها، قيم علمية: كالسؤال والإتقان وغيرها، القيم الأخلاقية: وتشمل العدل والشورى والحرية والطاعة، وغيرها⁽²⁾.

وصنفت بحسب نظرة الشارع إلى الإنسان إلى ثلاثة أقسام، الأول: القيم التي تنظم علاقة الإنسان بربه عز وجل، الثاني: القيم التي تنظم علاقة الإنسان مع نفسه، الثالث: القيم التي تنظم علاقة الإنسان مع غيره من الناس⁽³⁾.

وصنفت إلى الميادين الآتية: قيم التوحيد - قيم العلم - قيم الدعوة - قيم الأسرة - قيم القضاء - القيم الاقتصادية - القيم السياسية - القيم الجهادية - القيم الجماعية والبيئية والقيم الجمالية⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى غيرها من التصنيفات.

ب- أهمية القيم الإسلامية: للقيم أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم وتتجلى تلك الأهمية في الآتي:

1. تحقيق إنسانية الإنسان ورفقيه النوعي، "فعلى أساس إدراك الإنسان للقيم يتضح الحد الفاصل بينه وبين الكائنات الأخرى، والناس كذلك يتميز بعضهم عن بعض بحسب مستوى وحجم إدراكهم للقيم"⁽⁵⁾.

(1) العلاقة بين القيم الدينية والأمن النفسي لدى طلبة جامعة اليرموك، عصام سليمان أبو بكر، (ص: 4).

(2) القيم التربوية التي تضمنها السؤال والجواب في القرآن الكريم، علي سعيد شومان، (ص: 48).

(3) البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم، عبد الحميد الهاشي وعبد السلام فاروق، (ص: 13).

(4) المنظومة القيمية، مروان القيسي، (ص: 3225).

(5) سلم القيم الإسلامية من منظور إسلامي، مروان القيسي، (ص: 386).

2. توجيه سلوك الأفراد والجماعات، حيث تقودهم إلى إصدار الأحكام على الفكر والأشخاص والتصرفات.
3. تسهم في تحقيق غاية الوجود الإنساني، "فالقيم كلها تتجمع في ضمير المؤمن وفكره، لتنتج قيمة واحدة هي العمل الصالح"⁽¹⁾.
4. الإسهام في تحقيق السعادة، "حيث إن السعادة الفردية والجماعية ترتبط بالسلوك الذي تحكمه القيم الأخلاقية، هذا إذا لم يكن نتيجة مباشرة لها، كما أن السعادة مرتبطة ارتباطاً كلياً بالأمن الفكري والنفسي والمجتمعي الذي توفره القيم الإسلامية"⁽²⁾.
5. المحافظة على تماسك أفراد المجتمع بما تجنبه إياهم من نزاعات وانسحاق وراء الشهوات من خلال تلك الضوابط والمعايير الموجهة لسلوكهم مما يجعل تماسك المجتمع يتناسب تناسباً طردياً مع مقدار التمسك بالنسق القيمي السائد، وهذا يعني أن القيم عنصر رئيس من عناصر البناء المجتمعي، فيها تقوم المجتمعات، بها يتحدد مسارها بين الفناء والبقاء⁽³⁾. فالقيم ليست مهمة وضرورية في تشكيل وتدعيم النظام الاجتماعي لأي مجتمع وحسب بل هي مهمة كذلك في مساعدته على الاحتفاظ بهويته وذاتيته⁽⁴⁾.
6. تقديم فهم وتحليل للحياة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل، فالقيم هي المسؤولة عما نتج عن تاريخ المسلمين من ماضٍ تليد، كما أنها المسؤولة عن حماية الأمة من الصراع بين القيم الإسلامية والقيم الدخيلة؛ مما يحافظ على بقاء الأمة واستمرارها⁽⁵⁾.
7. تسهيل الحياة والمعاملات والعلاقات وضبط النشاط الإنساني داخل النظام الاجتماعي عن طريق تنميط المفاهيم والمعايير والمبادئ التي تتحكم في سلوك الأفراد وهم يتفاعلون مع بيئتهم الاجتماعية⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ قيم الحياة في القرآن الكريم، محمد شديد، (ص: 183).

⁽²⁾ المنظومة القيمية في سورة الإسراء وتطبيقاتها الأسرية، سوزان الشرايري، (ص: 14).

⁽³⁾ القيم الإسلامية المتضمنة في كتب التربية الإسلامية للصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الأساسية في الأردن. عبير مقابلة، (ص: 13، 14).

⁽⁴⁾ سلم القيم الإسلامية من منظور إسلامي، (ص: 386).

⁽⁵⁾ سلم القيم الإسلامية من منظور إسلامي، (ص: 386).

⁽⁶⁾ القيم التربوية الممارسة لدى طالبات جامعة تعز في الجمهورية اليمنية، فائزة قحطان، (ص: 34).

المبحث الثاني: علم القراءات دوره في ترسيخ بناء القيم:

المطلب الأول: دور مؤلفات علم القراءات ترسيخ في القيم:

لمؤلفات علم القراءات ومنظوماته أثر بالغ في ترسيخ القيم الإسلامية النبيلة والحث على سلوكها والتمسك بها، والإعلاء من شأنها سواء كانت قيماً عقدياً أو اجتماعية أو تشريعية أو علمية أو غيرها، والناظر في كتب القراءات يجد ذلك بوضوح، ومن القيم التي أبرزها هذا العلم:

قيمة العلم والرحلة في طلبه، والحصول على الإجازة بالسند المتصل من الشيوخ إلى النبي ﷺ، فالإسناد يعد خصيصة من خصائص الأمة، وهو من الدين، قال عبد الله بن المبارك: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)⁽¹⁾ ومعلوم أن (القراءة سنة متبعة)⁽²⁾ يأخذها الآخر عن الأول، بمعنى: أن معتمدها النقل الثابت الموصول إلى رسول الله ﷺ.

وعلى هذا فالإسناد قيمة من القيم العلمية والتشريعية لأمتنا التي تفردت بها من بين سائر الأمم، فتربطها برهبها وكتابها ونبيها، ولقد كانت معظم العلوم الشرعية تنقل بالسند ومع تناول الدهر وتراجع الحافظة، تفلتت كثير من العلوم من قيود الإسناد وضوابطه الناظمة، التي تحمي حوزة علوم الدين من الاختراق، وتسلسل الدخيل ما عدا علم القراءات التي ظل عصياً على ذلك، وسيظل ما بقي كتاب الله يتلى.

ومن القيم المستفادة من القراءات قيمة التيسير سواء في طلب هذا العلم وتقريبه للدارسين أو في قراءات القرآن الكريم، ومن المعلوم بدلالة النصوص المتواترة أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف، وأن تعدد وجوه قراءاته إنما كانت غايته القصوى التيسير على الأمة، ويدل على ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان عند أضاة بني غفار⁽³⁾، فأثاه جبريل عليه السلام فقال: (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال رضي الله عنه: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أراه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال رضي الله عنه: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاء

(1) صحيح مسلم، المقدمة: (15/1).

(2) معاني القرآن، للزجاج: (93/2)، معرفة السنن والآثار، للبيهقي: (329/3).

(3) الأضاة: الماء المستنقع من سيل أو غيره، ويقال: هو غدير صغير، ويقال: هو مسيل الماء إلى الغدير.

الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على ثلاثة أحرف، فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأیما حرف قرؤوا علیه فقد أصابوا⁽¹⁾.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المرء⁽²⁾)، فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية؛ الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لا يقرأ كتاباً قط، قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف⁽³⁾.

فمنهج التيسير سمة من سمات هذا الدين وخصيصة من خصائصه، وأولى جوانب التيسير التخفيف على الأمة في تلاوة كتاب ربها، حيث إن الأمة العربية التي شوفت بهذا الكتاب كانت متعددة اللهجات فلو كلفت القراءة على حرف واحد لشق ذلك عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال ﷺ: (أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزیده حتى انتهى إلى سبعة أحرف)⁽⁴⁾.

قال ابن السّلال عن القرآن الكريم بأن الله تعالى: "فرض فيه الفرائض، وأوضح فيه الشرائع، وأحلّ وحرّم، وأدّب وعلم، وأنزله بأيسر الوجوه وأفصح اللغات"⁽⁵⁾، وقال الدمياطي مبينا فائدة علم القراءات: "وفائدته: صيانته عن التحريف والتغيير مع ثمرات كثيرة، ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الاستنباط ومحجّتهم في الاهتداء مع ما فيه من التسهيل على الأمة"⁽⁶⁾. فما أحرانا اليوم باتخاذ قيمة التيسير منهجاً في كل شؤون حياتنا العملية والدعوية والتربوية.

والقيم التي تضمنتها كتب القراءات كثيرة، وسنكتفي في هذا الحيز من البحث بذكر نماذج مختارة من منظومة: حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع (الشاطبية) أعظم

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، الحديث رقم: (821)، (562/1).

(2) أحجار المرء: موضع بقاء خارج المدينة المنورة.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل: (132/35)، قال المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح.

(4) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، الحديث رقم: (4991)، (184/6)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، الحديث رقم: (819)، (561/1).

(5) طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم: (ص: 17).

(6) إتحاف فضلاء البشر، (ص: 6).

ومن القيم المستفادة منظومة حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية): الدعوة إلى التحلي بقيمة الصدق، والوفاق والوثام، والبعد عن الاختلاف والشقاق، قال الشاطبي:

وَقُلْ صَادِقًا لَوْلَا الْوِثَامُ وَرَوْحُهُ لَطَاخَ الْأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَا⁽¹⁾

قال أبو شامة المقدسي: " (صادقًا) حال أو أراد: قل قولاً صادقاً، نظم في هذا البيت مثلاً مشهوراً، وهو: (لولا الوثام لهلك الأنام)⁽²⁾، أي: لولا موافقة الناس بعضهم بعضاً في الصحبة والمعاشرة لكانت الهلكة، وزاد الشاطبي قوله: (وروحه) أي: روح الوثام، تنبيهاً على ما في الوثام من مصلحة الدين والدنيا. و(روح الوثام) حياته: أراد الحياة التي تحصل بسببه؛ لأنه سبب لبقاء الناس وتوادهم، والروح يعبر به عما تحصل به الحياة، ومنه قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: 2]، أي: بالوحي، سماه روحاً؛ لحصول حياة القلوب به، فكأنه قال: لولا الوثام وثمرته (لطاخ) بمعنى هلك، و(الأنام): الإنس، وقيل: الإنس والجن، وقيل: كل ذي روح، و(القيلا): البغض؛ أي: لهلك الناس في الاختلاف والتباغض"⁽³⁾.

فهذه دعوة عظيمة إلى نشر ثقافة الود والمحبة والوحدة والوثام والتسامح ونبذ الفرقة والاختلاف جانباً حتى تسير سفينة المجتمع دون منغصات، وتتحصل مصالح الدين والدين والآخرة.

وقد حوت منظومة (حزر الأماني ووجه التهاني) إضافة إلى ما تقدم قيم نصائح وعظمية، وتحذيراً من رذيلة الغيبة، وهي صفة ذميمة تلازم أهل العلم، وهي مؤذنة بشيوع ثقافة الكراهية والاختلاف والتفرق، قال الشاطبي داعياً إلى سلامة الصدور من الغل:

وَعِشْ سَالِماً صَدْرًا وَعَنْ غَيْبَةٍ فَعِيبٌ تَحَضَّرُ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلًا⁽⁴⁾

(1) حزر الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: (الشاطبية)، (ص: 7).

(2) الحيوان: (341/2). قال الجاحظ: "تقول العرب: (لولا الوثام لهلك الأنام). وقال بعضهم: تأويل ذلك: لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه قد صنع خيراً فتشبه به لهلك الناس. وقال الآخرون: إنما ذهب إلى أنس بعض الناس ببعض كأنه قال: إنما يتعايشون على مقادير الأُنس الذي بينهم ولو عمّتهم الوحشة عمّتهم الهلكة".

(3) إبراز المعاني من حزر الأماني، أبو شامة المقدسي، (ص: 54، 55).

(4) حزر الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: (الشاطبية)، (ص: 7).

قال أبو شامة: " (سالمًا) حال، و(صدرًا) تمييز، أي: سالمًا صدرك من كل خلقٍ رديء، والغيبية: ذكر الإنسان في غيبته بما يكره سماعه لا لمصلحة دينية، وقوله: (فغب)، أي: لا تحضر مع المغتابين، ولا توافقهم، ولا تصغ إليهم؛ فتكون في حكمهم، فإن لم يستطع أن يغيب بجسمه فليغب بقلبه، وسمعه، ولسانه، فيكون حاضرًا صورةً غائبًا معنًى. وإنما اعتنى بذكر الغيبة من بين الأخلاق المذمومة لغلبيتها على أهل العلم، ومنه قيل: (الغيبة فاكهة القراءة)⁽¹⁾، وقال بشر بن الحارث: هلك القراء في هاتين الخصلتين: الغيبة والعجب"⁽²⁾.
والعجب"⁽²⁾.

وقال الشاطبي داعياً إلى التحلي بقيمة الصبر؛ لأن الناس قد تغيرت نفوسهم، وفسدت ضمائرهم، وانعدمت الثقة فيما بينهم، وكثر التملق والنفاق والشقاق:

وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِأَلْتِي كَقَبْضِ عَلَى جَمْرِ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَا⁽³⁾

قال أبو شامة: "يريد: أن الناس قد تغيروا، وفسدوا، وساءت مقاصدهم، وكثر نفاقهم، فقلَّ من يوثق به منهم أو يسلم من أذاهم. وقد أدركنا الزمان الذي أخبر عنه المصطفى ﷺ: (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)⁽⁴⁾"⁽⁵⁾.

وقال ابن القاصح: "هذا إشارة إلى زمانه: أي هذا الزمان زمان الصبر؛ لأنه قد أنكر المعروف وعرف المنكر، وأوذى المحق، وأكرم المبطل، فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كقابض على جمر، فتأسَّ به فتسلم من العذاب"⁽⁶⁾.

وإذا كان هذا هو الحال في عصر الشاطبي وأبي شامة فكيف بحال الناس اليوم في عصرنا هذا، والله المستعان.

وأخيراً ختم الإمام الشاطبي منظومته (حز الأمانى ووجه التهاني) بالدعوة إلى جملة من القيم ومنها: قيمة الإغضاء عن الزلات، والعفو عن الهفوات، والحلم والإنصاف مع لأهل

(1) الجليس الصالح الكافي والأُنيس الناصح الشافي، (ص: 51).

(2) إبراز المعاني من حرز الأمانى، أبو شامة المقدسي، (ص: 55).

(3) حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: (الشاطبية)، (ص: 7).

(4) جامع الترمذي، باب مَا جَاءَ فِي النَّبِيِّ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ، الحديث رقم (2260)، (110/4)، وقال الألباني: صحيح، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته: (1326/2).

(5) إبراز المعاني من حرز الأمانى، أبو شامة المقدسي، (ص: 55).

(6) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح البغدادي، (ص: 23).

العلم ومع غيرهم، فقال:

وَتَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ سَهْلَةً مُتَزَهَةً عَنِ مَنْطِقِ الْهَجْرِ مَقُولًا
 وَلِكَيْهَا تَبْغِي مِنَ النَّاسِ كُفُوهَا أَخَاثِقَةً يَعْفُو وَيُعْضِي تَجْمُلًا
 وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا ذُنُوبٌ وَلِيَهَا فَيَا طَيِّبَ الْأَنْفَاسِ أَحْسِنْ تَأُولًا
 وَقُلْ رَحِمَ الرَّحْمَنُ حَيًّا وَمَيِّتًا فَتَى كَانَ لِلْإِنْصَافِ وَالْجِلْمِ مَعْقِلًا⁽¹⁾

والمعنى أن هذه القصيدة قد: كملت مقرونة بحمد الله سبحانه حال كونها سهلة الألفاظ عذبة التراكيب مبرأة عن القول الفاحش واللفظ الساقط. ثم يقول: إنها تطلب من الناس قارئاً مماثلاً لها في الكمال والفضل، أميناً على ما فيها، متجهاً إليها مقبلاً عليها؛ لأنه إن وجد فيه عيباً تغاضى عنه. ثم يقول: وليس في هذه القصيدة عيبٌ يشينها أو نقصٌ يحط من قدرها إلا ذنوب ناظمها، وهذا من باب التواضع وهضم النفس وإلا فالناظم من كبار الأولياء وخيار الأصفياء، ومن أهل التقوى والزهد والورع.

ثم ينادي الشاطبي المسلم صاحب الأخلاق المستقيمة، صادق الأنفاس، نقي الضمير طاهر القلب أن يجتهد في تحسين تأويلها والدفاع عن هئاتها. وأخيراً: يطلب الرحمة لكل صاحب قوة ومروءة يكون للإنصاف في الكلام، والحلم في مقام الانتقام ملجأ وموتلاً، سواء كان حياً أم ميتاً؛ إذ لا يستغني أحد عن رحمة مولاه. والمراد (بالتفتي) كل من يتصف بما ذكر، وقيل: أراد به نفسه⁽²⁾.

ومن خلال النماذج اليسيرة المتقدمة نجد أنه قد برزت من خلال هذا المؤلف المبارك - حرز الأمانى ووجه التهاني - جملةٌ من القيم العظيمة الأمر الذي يدل على عمق الصلة بين الثقافة الإسلامية في جانبها القيمي وبين مؤلفات علم القراءات، وأن هذه المؤلفات من مظان القيم النبيلة تنظيراً وتطبيقاً.

(1) حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: (الشاطبية)، (ص: 93).

(2) الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح القاضي، (ص: 394، 395)، وينظر: تقريب المعنى في شرح حرز الأمانى، سيد لاشين، (ص: 465، 466).

المطلب الثاني: دور تراجم القراء السبعة في ترسيخ القيم:

حمل القراءات القرآنية قراء كبار الشأن من صدر الإسلام حتى يومنا هذا، ولقد اتفق العلماء على تواتر قراءة سبعة منهم، وهم: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، وعبد الله بن كثير المكي، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الكوفي، وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي، وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي، وأبو عمرو زبّان بن العلاء بن عمار البصري، وعبد الله بن عامر اليحصبي الشامي. وهؤلاء سمووا بالقراء السبعة.

واختلفوا في تواتر قراءة قراء ثلاثة، وصحح ابن الجزري تواترها⁽¹⁾، وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، وأبو محمد يعقوب بن إسحاق بن يزيد الحضرمي البصري، وأبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار الكوفي، وهؤلاء مع السبعة قبلهم يسمون بالقراء العشرة.

وهناك أربعة قراء اتفق علماء القراءات القرآنية على شذوذ قراءتهم، وأنها تعد قراءات تفسيرية لا تجوز القراءة بها، وهم: محمد بن عبد الرحمن بن محيصة المكي، ويحيى بن المبارك اليزيدي، والحسن بن أبي الحسن البصري، وسليمان بن مهران الأعمش.

ويتجلى دور أئمة القراءات القرآنية في الثقافة الإسلامية عامة - وبخاصة في مجال القيم - من خلال سيرهم العلمية والفكرية والعملية والدعوية، حيث شهد لهم بالعلم والفضل علماء الأمة، بجانب ما قدموه من جهود في حفظه وضبطه، وجودة أدائه، وملازمة الإقراء غالب أعمارهم.

وكل هؤلاء القراء وغيرهم على مر الزمان ساهموا مساهمة كبيرة في إثراء حركة العلم والفكر والقيم الإسلامية، وسوف نستعرض نبذاً بسيطة من بعض ما ورد من صفات وقيم نبيلة تحلى بها هؤلاء، وردت في كتب التراجم، ونقلها العلماء الأثبات الصادقون، وغرضنا هو إثارة الذهن لتدبر بعض خصالهم التي تدعو إلى التأسي بهم، والتحلي بمناقبهم، ورحم الله القائل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التَّشْبَهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحٌ⁽²⁾

(1) ينظر: النشر في القراءات القرآنية العشر: (56/1).

(2) البيت لشهاب الدين السهروردي، وفيات الأعيان: (272/6).

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت169هـ): " كان عالماً بوجوه القراءات والعربية، متمسكاً بالآثار، فصيحاً ورعاً، إماماً للناس في القراءات بالمدينة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها، وأجمع الناس عليه بعد التابعين، أقرأ أكثر من سبعين سنة، كان ثقةً صالحاً، فيه دعاية، وكان مع علمه بوجوه القراءات متبعاً لآثار الأئمة الماضين ببلده. وكان من أطهر الناس خُلُقاً، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهداً جواداً صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة، ولما حضرته الوفاة قال له أبنائه: (أوصنا)، قال: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)⁽¹⁾.

عبد الله بن كثير المكي (ت120هـ): أحد القراء السبعة، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عليه السكينة والوقار.⁽²⁾

أبو عمر زيان بن العلاء البصري (ت154هـ) كان أعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والأمانة والدين، مرَّ الحسن البصري به وحلقته متوافرة، والناس عكوفٌ عليه، فقال: (لا إله إلا الله، لقد كادت العلماء أن يكونوا أرباباً كل عزٍّ لم يوطد بعلمٍ فألى ذلٌّ يؤول)⁽³⁾.

وكانت دفاتره ملاء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، وتفرد للعبادة، وجعل على نفسه أن يختم في كل ثلاث ليال، قال يونس بن حبيب معزيا في وفاة أبي عمرو: نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شهماً له آخر الزمان، والله لو قُسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً، والله لو رآه رسول الله ﷺ لسره ما هو عليه، وقال الأصمعي: لم أر بعد أبي عمرو أعلم منه.⁽⁴⁾

عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي (ت118هـ): إمام أهل الشام في القراءة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بها. كان إماماً كبيراً، وتابعياً جليلاً، أمَّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، فكان يأتهم به وهو أمير المؤمنين، وناهيك

(1) ينظر: كتاب السبعة، (ص:54)، معرفة القراء الكبار، الذهبي، (ص:64)، غاية النهاية: (330/2).

(2) ينظر: معرفة القراء الكبار، (ص:49)، غاية النهاية: (443/1).

(3) النشر في القراءات العشر: (156/1).

(4) ينظر: وفيات الأعيان: (467/3)، معرفة القراء الكبار، (ص:58)، غاية النهاية: (288/1).

بذلك منقبة، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشیخة الإقراء بدمشق، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة، ومحط رجال العلماء والتابعين، فأجمعوا على قراءته، وعلى تلقياها بالقبول، وهم الصدر الأول من أفاضل المسلمين.

قال أبو علي الأهوازي: كان عبد الله بن عامر إماماً عالماً ثقةً حافظاً لما رواه، متقناً لما وعاه، عارفاً فهماً قيماً فيما جاء به، صادقاً فيما نقله، من أفاضل المسلمين، وخيار التابعين، وجلة الراوين، لا يُتهم في دينه، ولا يُشك في يقينه، ولا يُرتاب في أمانته، ولا يُطعن عليه في روايته، صحيح نقله، فصيح قوله، عالياً في قدره، مصيباً في أمره، مشهوراً في علمه، مرجوعاً إلى فهمه، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر. ولي القضاء بدمشق، وكان إمام الجامع بدمشق، وهو الذي كان ناظراً على عمارته، وكان رئيس الجامع لا يرى فيه بدعة إلا غيرها⁽¹⁾.

عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 127هـ): شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة، وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن⁽²⁾.

حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي، (ت 156هـ): أحد القراء السبعة، إليه صارت الإمامة في القراءة في الكوفة، وكان لا يأخذ أجراً على تعليم القرآن، حمل إليه رجل كان قد ختم عليه القرآن جملة دراهم فردها عليه، وقال: أنا لا آخذ أجراً على القرآن، أرجو بذلك الفردوس. قال عنه الأعمش: هذا حبر القرآن، وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وقيل: ما رُئي قط إلا وهو يقرأ، وكان يختم كل شهر خمساً أو تسعاً وعشرين ختمة، وكان يصلي بعد الإقراء أربع ركعات، ويقوم أكثر الليل. وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة. وقال له أبو حنيفة: شيطان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما القرآن والفرائض، وقال سفيان الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً من

⁽¹⁾ ينظر: معرفة القراء الكبار، (ص: 82-86)، غاية النهاية: (1/423-425).

⁽²⁾ ينظر: سير أعلام النبلاء: (5/256-261)، غاية النهاية: (1/346-349).

كتاب الله إلا بأثر⁽¹⁾، وكان إماماً حجةً قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، ثخين الورع، عديم النظير⁽²⁾.

علي بن حمزة الأسدي الكسائي (ت189هـ): سمي بهذا الاسم؛ لأنه أحرِم في كساء، وقيل غير ذلك. انتهت إليه رئاسة الإقراء واللغة والنحو بالكوفة. قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي. خرج الكسائي إلى البادية فشهد العرب، وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم، ثم دنا إلى الحضرة، وقد علم اللغة. قال أبو عبيد: كان الكسائي يتخير القراءات، فاختر من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره. قال ابن الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور؛ كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكترون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادي. توفي وهو بصحبة هارون الرشيد في الري، ومات معه محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، فقال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالري. ورثاهما يحيى بن المبارك الزبيدي فكان مما قال:

وكادت بي الأرضُ الفضاء تُميد	وأرق عيني والعيونُ هجود	وفاضت عيوني والعيونُ جمود	وكادت بي الأرضُ الفضاء تُميد
وأذهلني عن كل عيش ولذة	فما لهم في العالمين نديد ⁽³⁾	وأرق عيني والعيونُ هجود	فما لهم في العالمين نديد ⁽³⁾

ومن خلال النقول المتقدمة عن أهل العلم عند ترجمتهم للقراء السبعة يمكننا أن نستشف جملة وافرة من القيم الدينية والروحية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية.

فمن أهم القيم التي كان عليها الإمام نافع المدني قيمة الفصاحة التي هي مطلوبة لكل حامل علم فضلاً عن حامل القرآن ومقرئه. وكذلك قيمة الزهد والورع، التي تجعل أهل القرآن مترفعين عن الدنيا، لا يلهثون وراء المتاع الزائل. ومن القيم التي كان عليها الإمام نافع

(1) ينظر: معرفة القراء الكبار، (ص: 93)، غاية النهاية: (261/1).

(2) معرفة القراء الكبار، (ص: 67).

(3) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (ص: 130)، معرفة القراء الكبار، (ص: 72)، غاية النهاية: (535/1).

قيمة القدوة والإمامة في العلم، فهو قدوة متبع في مجال القراءات، وقراءته إلى اليوم خالدة باقية، وتشير هذه الصفة إلى الإخلاص الذي هو أساس قبول العمل.

ولقد أفنى الإمام نافع عمره بالكلية في إقراء القرآن الكريم وتعلمية سبعين سنة من عمره، لا يكل ولا يمل، وكان متحلياً بالصلاح، ثقة مأموناً دِيناً.

ومن أهم القيم التي سار عليها قيمة التعلق بالمسجد والتمسك بالأثار، واتباع السنن، وترك الابتداع، مع طهارة الخُلُق والقراءة الحسنة، والحرص على سلامة ذات البين حتى وهو في لحظاته الأخيرة، يوصي بقيمتين عظيمتين هما قيمة التقوى وقيمة إصلاح ذات البين.

وأما القيم التي برزت في شخصية الإمام الزاهد المقرئ ابن كثير المكي فهي كثيرة، ومنها: الفصاحة والبلاغة، والسكينة، الوقار، ثم اتباع السنن؛ قال ابن مجاهد البغدادي: "كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية، فخرج به عن إجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه"⁽¹⁾، فأكرم بها من صفات.

ومن أهم القيم التي احتوتها شخصية أبي عمرو البصري: القيم العلمية؛ ومنها: سعة العلم والتبحر فيه، وكثرة الأتباع، والعلم بالقرآن الكريم وبلغته، كما تحلى بالقيم الخُلُقِيَّة: كالصدق – والأمانة وقوة الدين والزهد والتنسك، والتفرغ للعبادة.

ومن القيم التي برزت في شخصية ابن عامر الشامي: الإمامة في الدين والعلم والحفظ والإتقان والفهم لما يرويه أو ينقله والصدق والأمانة، وقوة الرواية وصحة النقل والفصاحة في القول، وعلو القدر، الحكمة والإصابة في الأمر وقيمة القدوة فقد كان مرجوعاً إليه في عويصات المسائل، وقيمة الاتِّباع وعدم مخالفة الأثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع.

ومن قيم العلم التي برزت في شخصية عاصم بن أبي النجود: الإمامة والقدوة في الدين والفصاحة والإتقان والتحرير التجويد، وحسن الصوت بالقرآن.

ومن أهم القيم المستفادة من ترجمة حمزة القيم العلمية، ومنها: عدم التكسب بالعلم والحفظ، وقوة البصيرة، وحدة الذكاء، والإمامة في العلوم.

كما تحلى بجملة من القيم الدينية: كالعبودية، والورع، وقيمة العمل حيث اشتغل بنقل الزيت حتى لقب بالزيات، وقيمة الخشوع، والقنوت، والاتباع وترك الابتداع؛ فلم يقرأ

⁽¹⁾ كتاب السبعة، (ص: 65)، غاية النهاية: (1/443).

حرفاً واحداً من كتاب الله تعالى إلا بأثر، وقمة ملازمة القرآن فلم يُرَ إلا وهو يقرأ، وقيمة الفهم والحفظ، وغلبة أقرانه في الفرائض والقرآن، قال الشاطبي في حقه:

وَحَمَزَةٌ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ إِمَاماً صَبُوراً لِلْقُرْآنِ مُرْتَبلاً⁽¹⁾

وأهم القيم التي برزت في شخصية الكسائي، القيم العلمية، ومنها: الاجتهاد، والإمامة في القراءات والنحو واللغة، والرحلة والمصابرة، وموسوعية العلم، ومن القيم الدينية التي برزت في شخصية الكسائي: قيمة التعلق بالقرآن ومداومة إقرانه، وقيمة الجهاد، وقيمة الاتباع وترك الابتداع.

وما تقدم عرضه من القيم التي برزت في شخصية كل مقرئ من القراء السبعة من خلال تراجعهم أكبر دليل على التزام هؤلاء الأئمة بالقيم الحميدة والأخلاق الفاضلة التي كانت سبباً في تخليد ذكركم حتى اليوم، وشيوع قراءتهم.

وإن إبراز هذه قيم هؤلاء الأعلام بين يدي الدعاة والمربين والقضاة والمفتين والساسة والدارسين أمر في غاية الأهمية، لعل مسامعهم تصيخ لها أو تحدث لهم ذكرى.

ولعل أهم قيمة مشتركة في تلك التراجم جميعها هي الاتباع وترك الابتداع، والعمل بالعلم، والإمامة في التخصص الأمر الذي كان له بالغ الأثر في مسيرة هذا العلم، بل وفي الفكر الإسلامي برمته، فصدق فيهم قول النبي ﷺ: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ أَنْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ)⁽²⁾.

ويتضح من خلال السير العلمية لأئمة القراءات القرآنية أثرهم في القيم الإسلامية، وخاصة النظم التعليم والتربوية، وليس أدل على ذلك من قضيتي جمع القراءات وكيفيات الجمع، ولم يقف الأمر بهم عند حد تعلم العلم وبيان طرق الإقراء، بل لقد ساهموا في تبليغ هذا العلم، ورابطوا في المساجد عشرات السنين؛ لتدريس الطلاب ابتغاء مرضاة الله تعالى، فنبع من تلاميذهم رواة معروفون مشهورون، تتابعوا على نقل هذا العلم بالإسناد المتصل حتى يومنا هذا.

ومن القيم العلمية التي وردت في تراجم القراء وكان لها أثرها في النظام التعليمي ما جاء في وصف كثير من القراء بالضبط، الذي يعني فيما يعني الحفظ والدقة والعدالة في

⁽¹⁾ حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع (الشاطبية)، (ص: 3).

⁽²⁾ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، (16/247)، وقال الألباني: صحيح، ينظر: مشكاة المصابيح: (82/1).

نقل العلوم وعرضها، الأمر الذي ينتج عنه إيضاح المعلوم، ودقها لدى المتلقي من طلبة العلم، وفي ذلك نجد الإمام أبا عمرو الداني يصف أحد شيوخه، وهو المقرئ خلف بن إبراهيم بن خاقان بقوله: "كان ضابطاً لقراءة ورش، متقناً لها مجوداً، مشهوراً بالفضل والنسك، واسع الرواية، صادق اللهجة، كتبنا عنه الكثير من القراءات والحديث والفقهاء، توفي سنة اثنتين وأربعمائة"⁽¹⁾.

فهذه القيم العلمية كلها اجتمعت في شيخ واحد من شيوخ الإمام الداني، ولا شك أن أثر ذلك سينعكس على الإمام الداني نفسه كما ينعكس على نظام التعليم فيكون أكثر ضبطاً ودقة وتفهماً.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية من وجوه القراءات وأثرها في بناء وترسيخ القيم:

لا شك أن تعدد وجوه القراءات القرآنية وما ينتج عنه من دلالة له أثر في بناء وترسيخ القيم الإسلامية، في مختلف مجالاتها العقدية والتعبدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدعوية والإعلامية وغيرها، وتتبع ذلك من خلال وجوه القراءات جميعها أمر متعذر كونه سيستغرق حيزاً كبيراً من هذا البحث، ولما كان الغرض هو تأصيل هذه القضية سيكتفي الباحث بتحليل عدد من النماذج التطبيقية التي تفي بالغرض، ومن ذلك:

قيمة العفة والسكينة والوقار، وهي قيمة ضرورية لاستقرار البيت مسلم، وتوفير حياة أسرية تسودها الثقة، ويغمرها الحب والوئام، حتى تقوم بدورها في تنشئة جيل صالح متسلح بالعلم والأخلاق، وقد دل على هذه القيمة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: 33]. قرأ نافع وعاصم: (وقرن) بفتح القاف، وقرأ الباقون: (وقرن) بكسر القاف⁽²⁾.

والناظر في مؤدى هاتين القراءتين من المعنى يجد أن معناهما يرسخ قيمة العفة من خلال الأمر بقرار المرأة في بيتها واستتارها عن الأجانب، وصفة هذا القرار هي القرار والوقار والسكينة: فقرة (الفتح) بمعنى القرار، من قَرَّ يقر، أي: (وأقررن في بيوتكن)، فحذف الراء الأولى، وحول فتحها إلى القاف، ومعنى قراءة الكسر: (كن أهل وقار وسكينة)، يقال: وَقَرَ فِي مَنْزِلِهِ يَقْرُ وَقُورًا⁽³⁾،

(1) معرفة القراء الكبار، (ص: 180)، غاية النهاية: (271/1).

(2) ينظر: كتاب السبعة، (ص: 522)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 358)، التيسير في القراءات السبع، (ص: 179).

(3) ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: 350).

وقد ذكر ذلك الطبري في تفسيره مرجحاً قراءة (وقرن) بالكسر؛ معللاً ذلك بقوله: "لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا، فلا شك أن القراءة بكسر القاف؛ لأنه يقال: وقر فلان في منزله فهو يقر وقروراً"⁽¹⁾.

أقول: فالقراءة بالكسر أوضحت أن قرار المرأة في بيتها لا بد أن يكون شيمته الوقار والسكينة لا مجرد القرار، خاصة في عصرنا الحاضر التي أتيح فيه للمرأة داخل بيتها كثير من وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، والتي تستطيع من خلالها أن تتحدث إلى غيرها من الأجانب، الأمر الذي ينتج عنه ما يسمى بالخلوة الإلكترونية، وهذا بلا شك أثر من آثار تبين هذه المعاني في اختلاف القراءات لهذه الآية التي تحت على قيمة العفة والاحتشام للمرأة وقرارها في بيتها.

فهذه الآية العظيمة أمرت نساء النبي ﷺ بأمرين:

1. القرار في البيوت، وعدم الخروج منها لغير حاجة، وهو ما دلّت له قراءة نافع وعاصم.
 2. الوقار في البيوت، وهو لزوم السكينة والأدب، وهو ما دلّت له قراءة الجمهور بالكسر.
- ويستفاد من هذا الأمر "وجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لا بد منها"⁽²⁾، دعت إلى ذلك مصلحة ضرورية لهنّ أو للأمة.

وما يدل على قيمة العفة - أيضاً - ما جاء من القراءات في قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: 34]. قرأ الجمهور: (الله) بالرفع، وقرأ أبو جعفر المدني: (الله) بالنصب⁽³⁾.

قال أبو جعفر النحاس: "(الرفع) أيّن، أي: حافظات لمغيّب أزواجهن بحفظ الله جلّ وعزّ وتسديده. وقيل: بما حفظهن الله في مهورهن وعشرتهن، وقيل: بما استحفظهن الله إياه من أداء الأمانات إلى أزواجهن، و(النصب) بمعنى: بالشيء الذي حفظ الله أي بالدين أو العقل الذي حفظ أمر الله. وقيل: بحفظ الله أي بخوف مثل ما حفظت الله جلّ وعزّ، وقيل: التقدير بما حفظن الله ثم وحّد الفعل"⁽⁴⁾.

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (96/19).

(2) أيسر التفاسير، للجزائري (268/4).

(3) ينظر: المبسوط في القراءات العشر، (ص: 179)، النشر في القراءات العشر، (ص: 241).

(4) إعراب القرآن: (212/1).

وقال البناء الدمياطي في توجيه القراءتين: "فأبو جعفر قرأ بفتح هاء الجلالة، وما موصولة أو نكرة موصوفة، وفي (حفظ) ضمير يعود إليها على تقدير مضاف؛ إذ الذات المقدسة لا يحفظها أحد، أي: بالبر الذي أو بشيء حفظ حق الله أو دينه أو أمره، ومنه الحديث: (احفظ الله يحفظك)⁽¹⁾. والباقون بالرفع، وما إما مصدرية أو موصولة أي: بحفظ الله إياهن أو بالذي حفظه الله لهن"⁽²⁾.

وحفظ الله لذات المرأة بما أقامت من حدود الله تعالى، فالحافظ الحق هو الله عز وجل، والمرأة الصالحة مأمورة أن تبذل الجهد في حفظ حق الله تعالى، والسعي لمرضاته، والعمل بأمره تعالى ونهيه حال وجود زوجها وغيابه، وحق زوجها في غيبته أن تحفظه في النفس والعرض والمال من دنس الأخلاق الذميمة، وأن تظهر دائماً لزوجها في أكمل صورة تحفظ استمرار الحياة الزوجية، وكذلك إن حفظ الرجل حدود الله في حال غيابه سبب لحفظ أهله وأبنائه.

وهكذا ألفت القراءتان معاني من هيبة الله وجلاله على المرأة المسلمة في حفظها لغيب زوجها، فاختلف المعاني في هذه الآية يدل دلالة واضحة على الحث على قيمة المراقبة والخوف من الله تعالى التي تكون سبباً لحفظ الأعراض والمحام، وهذه قيمة أساسية تتعلق باستقرار البيت المسلم بشكل عام، وبسمو المرأة المسلمة بشكل خاص.

ومن القراءات التي دلت على قيمة العفة عما في أيدي الناس والتوكل على الله تعالى، والركون إليه دون سواه ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِآيَاتِنَا عَلَيْكُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94]، قرأ حمزة والكسائي وخلف: (خَرَجًا) بفتح الراء وألف بعدها، وقرأ الباقيون: (خَرَجًا) بإسكان الراء من غير ألف⁽³⁾، والخَرَجُ: أعمُّ من الخَرَجِ، وجُعِلَ الخَرَجُ بإزاء الدخل، والخَرَجُ مختص في الغالب بالضريبة على الأرض، أو الجزية، وقيل: العبد يؤدي خرجه، أي: غلته، والرعية تؤدي إلى الأمير الخَرَجَ⁽⁴⁾، فأفادت

(1) جامع الترمذي: (248/4)، الحديث رقم: (2516)، قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح)، وقال الألباني: (صحيح): بنظر:

صحيح الجامع الصغير وزيادته: (1317/2).

(2) إتحاف فضلاء البشر، (ص: 241).

(3) النشر في القراءات العشر: (315/2).

(4) المفردات في غريب القرآن، (ص: 278).

قراءة: (خَرَجًا) أن أهل تلك البلاد التي وصل إليها ذو القرنين قد استنجدوا به ليخلصهم من أذى يأجوج ومأجوج، وعرضوا عليه أن يجعلوا له (خَرَجًا)، أي: مالاً يجمعونه له ليخلصهم من فساد يأجوج ومأجوج، "كأنهم قالوا له: نجعل لك جُعللاً ندفعه إليك الساعة من أموالنا على أن تبني بيننا وبينهم سدّاً"⁽¹⁾.

وأفادت قراءة: (خَرَاجا) مدى شدة حاجة أولئك الناس في تلك البلاد التي وصل إليها ذو القرنين إلى الخلاص من شر يأجوج ومأجوج بحيث عرضوا عليه أن يجعلوا له ضريبة على أموالهم وأراضهم يخرجونها له باستمرار مقابل أن يبني لهم السد، وينقذهم من فساد يأجوج ومأجوج.

والقراءتان متكاملتان؛ فقراءة (خَرَاجا) تضمنت أنواعاً من المال كالجزية أو الضريبة، وهذا كله مال إلا أنه قد لا يدفع في الحال وإنما بعد زمن، بينما دلت قراءة (خَرَجًا) على استعداد القوم لتقديم المال لذي القرنين في الحال مقابل أن يبني حاجزاً يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إليهم، ليتخلصوا من فسادهم، لكنه ترفع عن ذلك، واعتمد على الله تعالى، وأعطاهم درساً بليغاً في التوكل والأخذ بالأسباب، وبين لهم أن ما أوتيته من القوة والفضل خير مما عرضه عليه من الجعل أو الخراج، فقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95]، قرأ ابن كثير: (مَكَّنِّي) بإظهار النونين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، وقرأ الباقون: (مَكَّنِّي) بالإدغام⁽²⁾، ومعنى: (ما مَكَّنِّي): ما بسطه من القدرة والملك⁽³⁾، فأفادت قراءة: (مَكَّنِّي) أن تمكين الله تعالى لذي القرنين ظاهر وبين للعيان؛ من امتلاكه للمال والقوة والسلطان ومن كل شيء سبباً. وأفادت قراءة (مَكَّنِّي) أن هذا التمكين من الله تعالى لذي القرنين منه ما هو ظاهر للعيان، ومنه ما هو خفي بينه وبين الله تعالى من أسرار الإخلاص لله تعالى وهداية الله تعالى له ومعيته.

والقراءتان متكاملتان فالله تعالى قد مَكَّنَ ذا القرنين أنواعاً متعددة من التمكين منها ما هو ظاهر للعيان، بئس للناس مثل: ما أوتي من أسباب القوة والمال والسلطان، وغيرها مما

⁽¹⁾ الكشف عن وجوه القراءات: (78/2).

⁽²⁾ النشر في القراءات العشر: (315/2).

⁽³⁾ فتح القدير، للشوكاني: (426/4).

يراه الناس ويلاحظونه، ومنها ما هو بينة وبين الله تعالى من قوة الإيمان بالله، والإخلاص له، أي: أشياء باطنة لا يقع أحد عليها بحدس ولا توهم، لأنها مما لم يؤلف مثله⁽¹⁾. والله أعلم.

ومن أثر القراءات التي ضبطت منهج الفكر والنظر وسددت مسلكه ما ورد من قراءات في أكثر من موضع في القرآن الكريم تدعو إلى التفكير والتعقل، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَالدُّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 109]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُوهُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: 60]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفْلا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: 68].

قال الداني: "قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: (أفلا يعقلون) في الأنعام، وفي الأعراف، وفي يوسف، وفي ويس بالياء في الأربعة. وقرأوا في القصص: (تعلقون) بالتاء، وقرأ أبو عمرو الخمسة بالياء، وقرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان الخمسة بالتاء، وقرأ عاصم في رواية حفص وابن عامر في رواية هشام، كلها بالتاء إلا في يس، فإنها بالياء"⁽²⁾.

والقراءتان فيهما التفتات، والحجة لمن قرأهن بالتاء أنه جعلهم مخاطبين على لسان نبيه ﷺ والحجة لمن قرأهن بالياء أنه جعلهم غيبا مبلغين عن الله عز وجل⁽³⁾.

فشملت آيات سورة الأنعام والأعراف ويوسف والقصص بيان الدعوة إلى التأمل والتفكير في حقيقة الدنيا الآخرة، أما حقيقة الدنيا فإنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان⁽⁴⁾، والاستفهام في قوله تعالى (أَفْلا تَعْقِلُونَ) للحث على التدبر والتفكير

(1) تكامل المعنى بين القراءات في سورة الكهف، عبد الله المنصوري، (ص: 72).

(2) ينظر: جامع البيان في القراءات السبع، للداني: (1035/3، 1036).

(3) الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 138).

(4) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: 254).

والموازنة بين اللذات العاجلة الفانية التي تكون في الدنيا، وبين النعيم الدائم الباقي الذي يكون في الآخرة⁽¹⁾.

وآية سورة يس بين أنه مهما طال بالإنسان العمر، فإنه يصير الشباب هَرَمًا، والقوة ضعفاً، والزيادة نقصاً⁽²⁾.

فشملت القراءتان في هذه الآيات الناس جميعهم في القديم والحديث، وشملت الحاضر والغائب، والعالم والجاهل، وهي دعوة صريحة لفهم حقيقة الحياة الدنيا، بأنها زائلة فينبغي فهم هذه الحقائق.

واللعب في الآية الأولى هو العمل الذي لا يقصد به مقصداً صحيحاً من تحصيل منفعة أو دفع مضرة، واللهو: هو طلب ما يشغل عن معالي الأمور وعما بهم الإنسان ويعنيه، فالحياة الدنيا لعب ولهو لمن اتخذوها فرصة للتكاثر والتفاخر وجمع الأموال من حلال وحرام، ولم يقيموا وزناً للأعمال الصالحة التي كلفهم الله تعالى بها. أما للذين استقاموا فإن الحياة الدنيا تعتبر وسيلة إلى رضا الله الذي يظفرون به يوم القيامة، وإن ما يحصل عليه المؤمنون في هذا اليوم من ثواب جزيل، ومن نعيم مقيم هو خير من الدنيا وما فيها من متعة زائلة ومن شهوات لا دوام لها⁽³⁾.

ومعلوم أن الدعوة إلى استعمال العقل في الأمور والتصرفات كلها من أسعى الأثر في ضبط الفكر واعتداله، الأمر الذي به يتضح أثر القراءات في تشكيل الفكر واستقامته.

ومن القيم القضائية والاجتماعية والسياسية قيمة التثبت والتبين، وقد دل عليها ما

جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمْ لَسْتُمْ مَوْمِنًا تَبَتَّعُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6]. فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (فتبينوا)، بالياء والنون،

(1) ينظر: التفسير الوسيط، سيد طنطاوي: (64/5).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (51/15).

(3) ينظر: التفسير الوسيط، طنطاوي: (64/5).

وقرأ حمزة والكسائي: (فتثبتوا) بالثاء والتاء⁽¹⁾، وقراءة (فتثبتوا): من الثبات، أي: فتأنوا، وتوقفوا حتّى تتيقنوا صحّة الخبر، واطلبوا ثبات الأمر ولا تعجلوا فيه، وقراءة (فتبينوا): من التبين، أي: فتأملوا وافحصوا، واكشفوا، واطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وتذرون، ولا تعملوا فيه من غير تدبر وروية⁽²⁾، وفي ذلك تنبيه أنه إذا كان الخبر شيئاً عظيماً له قدر فحقّه أن يتوقف فيه، وإن علم وغلب صحّته على الظنّ حتى يُعاد النّظر فيه، ويُتبين فضل تبيّن⁽³⁾.

فهاتان القراءتان ترسخان قيمة التثبّت في كل مجالات الحياة دون استثناء، وبخاصة مجال الخصومة، فلا تلقى التهم جزافاً دون تثبّت وتبين ودليل، وكذلك في مجال النقل في النظام الإعلامي في الإسلام؛ حيث تدعوان إلى التثبّت من نقل الأخبار بعيداً عن ترويج الإشاعات والأكاذيب، وغلب استعمال للتثبّت في التّحقّق من الدّوات والشخوص، وغلب استعمال التبين على التّحقّق من الأحداث والفعال، وأكثر المعنيين بذلك هم القضاة العادلون، فهذه التوجيهات المستفادة من القراءتين لها أعظم الأثر في إصلاح النظام القضائي، وإيجاد قضاء عادل حرّ نزيه في المجتمع.

ومن القراءات الدالة على قيمة التثبّت قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِيُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [النساء: 19]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [الطلاق: 1]، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: (مُبَيِّنَةٍ) بكسر الياء، حيث كان، وقرأ ابن كثير، وعاصم برواية أبي بكر: (مُبَيِّنَةٍ). وقرأ ابن عامر وعاصم برواية حفص، وحمزة والكسائي وخلف (مُبَيِّنَةٍ) بكسر الياء⁽⁴⁾؛ فمن قرأ بالكسر أراد اسم الفاعل، ومن قرأ بالفتح أراد اسم المفعول، ومعنى

(1) ينظر: كتاب السبعة، (ص: 236)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 180).

(2) حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 209)، روح المعاني، للألوسي: (114/3).

(3) المفردات في غريب القرآن، (ص: 789).

(4) المبسوط في القراءات العشر، (ص: 177، 439).

القراءة بالفتح: (مبيّنة): مكشوفة مظهرية، أي: أوضح أمرها في ذاتها، ومعنى القراءة بالكسر (مُبيّنة): كاشفة ظاهرة⁽¹⁾.

فعضل المرأة في سورة النساء جازر في هذه الحالة فقط إذا ظهرت منها الفاحشة المبينة كالزنا، والسرقة، والنشوز عن الطاعة، ونحو ذلك من الأمور الممقوتة شرعا وعرفا، ففي هذه الحال يجوز العضل لاسترداد ما أعطوه من صداق وغيره من المال؛ لأن الإساءة من جانبها، واشترط كون الفاحشة مبينة، أي: ظاهرة ثابتة إنما هو لمنع عضلها بمجرد سوء الظن بسبب غيرة الرجل الشديدة، وتسرع في الحكم على الزوجة البريئة، أو المرأة العفيفة، فيقع الرجل في الظلم حينئذ⁽²⁾.

والمطلقة في آية سورة الطلاق لا يجوز إخراجها من بيتها في مدة العدة، بل تلزم بيتها الذي طلقها زوجها وهي فيها، ولا يجوز لها الخروج منها، "أما النبي عن إخراجها، فلأن المسكن، يجب على الزوج للزوجة، لتكمل فيه عدتها التي هي حق من حقوقه. وأما النبي عن خروجها، فلما في خروجها، من إضاعة حق الزوج وعدم صونه. ويستمر هذا النبي عن الخروج من البيوت، والإخراج إلى تمام العدة. (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ)، أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها، بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها، كالأذى بالأقوال والأفعال الفاحشة، ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها؛ لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها، والإسكان فيه جبر لخاطرها، ورفق بها، فهي التي أدخلت الضرر على نفسها، وهذا في المعتدة الرجعية، وأما البائن، فليس لها سكنى واجبة، لأن السكن تبع للنفقة، والنفقة تجب للرجعية دون البائن"⁽³⁾.

ومن القراءات التي لها أثر في إرسال دعائم القيم السياسية في العلاقات الدولية ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 208]. قرأ ابن كثير ونافع والكسائي: (السَّلْم) بفتح السين، وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو وابن عامر: (السَّلْم) بكسر السين⁽⁴⁾. فهذه الآية دعت إلى إرساء

(1) ينظر: معاني القراءات، للأزهري: (298/1).

(2) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، (ص: 291).

(3) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص: 869).

(4) كتاب السبعة، (ص: 180، 181).

قيمة السلم، والدخول في الصلح والمسالمة مما ينتج عنه استقرار المجتمعات وتوفير أمنها؛ وقد دلت القراءة بالفتح فالمراد ب(السِّلم) المسالمة والصلح، فجعلوا معنى الآية: ادخلوا في الصلح والمسالمة، وترك الحرير وإعطاء الجزية، وأما قراءة (السِّلم) فقد اختلفت في تفسيرها بالدخول في الإسلام أو الصلح⁽¹⁾، وكلاهما محمود ومرغوب، يساهم في بناء النظام الاجتماعي والدولي واستقراره.

فالله سبحانه أمرنا بالسلم والسعي إلى المودعة والمسالمة والمصالحة، وهذا مبدأ رئيس في الإسلام، يتوكد به سعيه في حقن الدماء ونشر الإسلام، وأمرنا سبحانه وتعالى - كذلك - بإسلام النفس له "في جميع الأمور، والإخلاص له، وعدم الانحراف عن هذه الجادة المستقيمة، وعدم الاندماج في المكائد والدسائس الباعثة على القلق والاضطراب والتفكك بين المسلمين جماعة وأفراداً، وفي كل ظرف ومكان، وكون ذلك وحده هو الطريق القويم المؤدي إلى النجاة"⁽²⁾.

ومن القراءات التي ترسخ قيمة السلم والسلام معاً قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ بِكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف: (لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً) بغير ألف. وقرأ الباقر: (لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) بالألف⁽³⁾. فتوجه القراءة الأولى (السِّلم) بحذف الألف إلى الاستسلام والإذعان والانقياد والتصالح. وتوجه قراءة الباقرين: (السلام) إلى التحية المشروعة، ويكون من دلالتها أن معصوم الدم إذا ألقى التحية الإسلامية لا بد من تبين أمره قبل مفاجأته بأي تصرف، لأن إلقاءه تحية الإسلام مؤذن بطاعته وانقياده⁽⁴⁾.

فالله سبحانه جعل استسلام الخصوم وانقيادهم عصمة لدمائهم، إذا انقادوا لحكم المسلمين، وهو ما دلت عليه قراءة: (السِّلم) بحذف الألف، ولكن الاستسلام والخضوع،

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للطبري: (597/3).

(2) التفسير الحديث، محمد عزت دروة: (366/6).

(3) المبسوط في القراءات العشر، (ص: 180، 181).

(4) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، (ص: 321)، بتصرف.

وكذلك الدخول في الإسلام لا يتبين بسهولة ويسر، وقد يراق دم المرء قبل أن يقدم لقاتله الدليل على انقياده أو إسلامه، لذلك فقد تكفلت القراءة الثانية بعصمة دم المرء إذا كان مجهول الحال بمجرد أن يقول: (السلام عليكم)، وهو احتراز ضروري، ورحمة إلهية ظاهرة بعباده⁽¹⁾.

ومن الأمثلة التي ترسيخ القيم الاجتماعية ونبذ الاستعباد والسخرية ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: (سُخْرِيًّا) بكسر السين، وقرأ نافع وحمزة والكسائي: (سُخْرِيًّا) بضم السين⁽²⁾. ومعنى القراءة بالكسر السخرية منهم والاستهزاء بهم، والمعنى على القراءة بضم السين الاستبعاد والاستدلال⁽³⁾؛ كأنهم سخروهم في العمل وسخروا منهم استهزاءً. وهذا يتضح كيف أن هذه القراءة ساهمت بشكل واضح في التنفير من التسخير والاستعباد، والإذلال، مما ينعكس بالإيجاب على النظام الاجتماعي عند التزام ذلك.

ومن القيم التي قررتها القراءات القرآنية قيمة حق الحياة للنفس البشرية قال تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَفِيًّا غُلْمًا فَقَنَلَهُ، قَالَ أَفَنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: 74]، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (زَاكِيَّةً) بالألف وتخفيف الياء، وقرأ الباقون: (زَكِيَّةً) بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء، وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة: (نُكْرًا) بضم الكاف، وقرأ الباقون: (نُكْرًا) بسكون الكاف⁽⁴⁾.

و(زَاكِيَّةً): اسم فاعل، وهي النفس التي لم تذنّب، أو النفس المطهرة التقية⁽⁵⁾، وهي على البناء للمبالغة، لأن صيغة (فَعِيل) أبلغ في الوصف والمدح من (فَاعِل)⁽⁶⁾، ونُكْرًا، أي: المنكر الذي ينكره العقل⁽⁷⁾، فأفادت قراءة: (زَاكِيَّةً) أن موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر

(1) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، (ص: 323)، بتصرف.

(2) كتاب السبعة، (ص: 48).

(3) غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: 300)، إتحاف فضلاء البشر، (ص: 406).

(4) كتاب السبعة: (ص: 395)، المبسوط في القراءات العشر، (ص: 280).

(5) الكشف عن وجوه القراءات: (68/2).

(6) حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 424).

(7) تاج العروس: (287/14).

قتل الغلام لكونه صغيراً لم يذنب بعد، فأنكر عليه قتل نفس طاهرة⁽¹⁾. وأفادت قراءة: (زَكِيَّة) أن موسى عليه السلام قد أنكر على الخضر قتل الغلام إنكاراً شديداً، لأنه قتل نفساً مطهرة، لم تبلغ الخطايا بغير ذنب⁽²⁾، وذلك مما تفيدته صيغة (فعيل) التي تدل على المبالغة في الوصف، أكثر من اسم الفاعل، قال ابن عثيمين " قوله: (زكية) لأنه غلام صغير والغلام الصغير تكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات إذاً فهو زكي، لأنه صغير فلا تكتب عليه السيئات وتكتب له الحسنات (بغير نفس) يعني أنه لم يقتل أحداً حتى تقتله، ولكن فلو أنه قتل هل يقتل أو لا؟ في شريعتنا لا يقتل، غير المكلف لا يقتل بالعمد لأنه لا عمد له"⁽³⁾. فأفادت قراءة: (نُكْرًا) بالضم فالسكون أن ما أقدم عليه الخضر من قتل الغلام أمر منكر، وأفادت قراءة: (نُكْرًا) بتوالي الضمات أن ما أقدم عليه الخضر من قتل الغلام أمر فظيع، ظاهر النكارة، قبيح تستنكره العقول⁽⁴⁾، فتوالي الضمات ووجود الثقل قد أضاف إلى المعنى المخفف معنى هو أبلغ في تقبيح الفعل وإنكاره.

فدلت القراءتان على وجوب المحافظة على النفس المؤمنة الصالحة المطهرة من الذنوب، وأن التعرض لها بالإتلاف والقتل منكر شنيع⁽⁵⁾.

ومن القراءات التي رسخت قيمة التوكل والأخذ بالأسباب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾^(٨٤) ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84، 85]، قرأ ابن عامر والكوفيون: (فَاتَّبَعَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء، وقرأ الباقون: (فَاتَّبَعَ) بوصل الهمزة وتشديد التاء⁽⁶⁾، و(أَتَّبَعَ): بهمزة قطع، معناه: أدرك ولحق، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُهُ، شَهَابٌ ثَائِبٌ﴾ [الصافات: 10]⁽⁷⁾، و(أَتَّبَعَ): بوصل الألف وتشديد التاء بمعنى سار وسلك وإن لم يلحق، من قول القائل: اتبعت أثر فلان إذا قفوته وسرت وراءه، قال الواحدي: "وقرئ: (فَاتَّبَعَ) بقطع الألف، قال الأصمعي: ومعناه: لحق، يقال: أَتَّبَعْتُ القوم: لحقتهم، و(أَتَّبَعَ) إنما هو أن يتتبع آثارهم

(1) إعراب القرآن، للنحاس: (302/2).

(2) غريب القرآن، للسجستاني، (ص: 252).

(3) تفسير الكهف، محمد بن صالح العثيمين، (ص: 117).

(4) معاني القرآن، للنحاس: (271/4).

(5) تكامل المعنى بين القراءات في سورة الكهف، عبد الله المنصوري، (ص: 65، 66).

(6) كتاب السبعة، (ص: 398)، النشر في القراءات العشر: (314/2).

(7) حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 428).

وإن لم يلحقهم⁽¹⁾. فأفادت قراءة (أتبع): أن ذا القرنين أتبع (من كل شيء) أي: من أسباب كل شيء أرادته من أغراضه ومقاصده في ملكه، ابتع لذلك (سبباً) أي: طريقاً موصلاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة، فما أعظم فقهه في الأخذ بالأسباب مع التوكل. وأفادت قراءة (أتبع): أن ذا القرنين سلك طريقة من المشرق والمغرب، كقوله تعالى: ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: 37]⁽²⁾، أي: طرائقها، كل ذلك كان بعزمٍ وجدٍّ وهمّةٍ حرصاً على الوصول إلى مبتغاه، (فأتبع) أي: ألحق طريقاً بطريق حتى وصل إلى هدفه، فأراد بلوغ المغرب فوصل إلى مبتغاه، ثم أراد المشرق، فوصل إلى ذلك، وعدل في حكمه ورفع الظلم عن العباد، وحكم شريعة الله في الأرض⁽³⁾.

ويتبين من القراءتين أن ذا القرنين كان حريصاً على الغزو في سبيل الله، وبذل جميع الأسباب للوصول إلى ذلك، وكان نموذجاً في التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، وكان حريصاً أن يصل إلى مبتغاه بأقصى ما يستطيع من قدرة، كما كان حريصاً على نشر دين الله في الأرض المفتوحة ونشر العدل بين الناس، ورفع الظلم عنهم، ولم يلتفت إلى مال أو جاه بل كان مخلصاً لله تعالى.

ومن القراءات التي ساهمت في تعميق قيم الاتحاد والاستمسك بالدين القويم وذم الابتداع ومفارقة الدين الحق ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159]، قرأ حمزة، والكسائي: (إنّ الذين فارقوا) بالألف، وقرأ الباقون: (فَرَّقُوا دِينَهُمْ)⁽⁴⁾. ومعنى قراءة (فارقوا) أي: زابلوا، وفارقوا الدين. وقد روي أن رجلاً قرأ عند علي عليه السلام: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) فقال علي: (لا والله ما فرّقوه ولكن فارقوه)، ثم قرأ: (إِنَّ الَّذِينَ فارقوا دينهم) أي: تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتّباعه، ودعاهم إليه. وقراءة: (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) من التّفريق. تقول: فرقت المال تفريقاً، أي: صاروا أحزاباً وفرقاً، وتصديقها قوله: ﴿مَنْ أَلْدَيْنَكَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ

(1) التفسير البسيط، للواحيدي: (131/14).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (191/5).

(3) تكامل المعنى بين القراءات في سورة الكهف، عبد الله المنصوري، (ص: 72).

(4) كتاب السبعة، (ص: 274)، المبسوط في القراءات العشر: (ص: 205).

حَزَبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴿﴾ [الروم: 32]⁽¹⁾، أي: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكذا من ابتدع فقد جاء بما لم يأمر الله جل وعز به فقد فرق دينه وفارقوا دينهم، يعني الإسلام⁽²⁾، والمعنيان متقاربان لأنهم إذا فرقوا الدين فقد فارقوه⁽³⁾.

فدللت القراءتان على شؤم مفارقة الجماعة والتشيع لغير الدين الحق، فقد سمي هذا السلوك تفريقاً للدين في قراءة (فرقوا) ومفارقة للدين في قراءة (فارقوا) ففي القراءتين زجر عن التفرق، وتحذير من اتباع الهوى الحامل عليه، ويلمس منهما بطريق الإشارة الحث اجتماع الشمل، ونبذ التفرق والاختلاف المفضي إلى التناحر في الجماعة المؤمنة الواحدة.

ومن القراءات التي ساهمت في تعزيز قيمة النظافة والطهر وحماية الأفراد من أسباب انتشار الأدواء ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة/222].

قرأ شعبة عن عاصم وحزمة والكسائي وخلف: (يَطْهَرْنَ) بفتح الطاء والهاء مع التشديد فيهما، وهو مضارع: (تَطْهَرْنَ)، وقرأ الباقر: (يَطْهَرْنَ) بسكون الطاء وضم الهاء مخففة، مضارع طَهَّرَ⁽⁴⁾.

ومعنى القراءة بالتشديد: (يَطْهَرْنَ) أي: حتى يتطهرن بالماء، وأراد الاغتسال؛ لأنهن ما لم يغتسلن فهن في حكم الحيض في كثير من الأشياء، ومعنى القراءة بالتخفيف: (يَطْهَرْنَ) أي: حتى ينقطع دم الحيض، قال الفخر الرازي: " (يَطْهَرْنَ) من طهرت المرأة من حيضها؛ وذلك إذا انقطع الحيض، فالمعنى: لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم"⁽⁵⁾. ويؤيد قراءة التشديد أن

القراء أجمعوا على (تَطْهَرْنَ) في قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة/222]، فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى، فكما أن ذلك لا يكون إلا الاغتسال، فكذلك ينبغي أن يكون معنى هذا أيضاً⁽⁶⁾، فصيغة التشديد تفيد المبالغة في طهر النساء من

(1) حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 278)، بتصريف.

(2) إعراب القرآن، للنحاس: (41/2).

(3) حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 278)، بتصريف.

(4) التيسير في القراءات السبع: (ص: 68).

(5) مفاتيح الغيب: (59/6).

(6) الكتاب الموضح: (326/1).

الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. ويجمع بين القراءتين بأن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر؛ لانقطاع دم حيضها، وتطهر بالاعتسال⁽¹⁾.

وهكذا يتضح لنا من خلال عرض النماذج السابقة الذكر أن القرآن الكريم حافلٌ بالقراءات القرآنية التي تنظم شؤون الحياة الإنسانية وترسي أسس وقواعد القيم الإسلامية النبيلة، فهو دستور الأمة ومصدرها التشريعي الأول، وعلى ذلك فإن القراءات ومعانيها المتنوعة التي قد شملت كافة جوانب الحياة، فكان لها الأثر الأكبر على قيم المجتمع المسلم ونظمه؛ فنجد فيها القيم الأسرية، والاجتماعية، والقضائية، والتعبدية، والسياسية، والاقتصادية، والتربوية، وغيرها.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد: فقد عرضنا بعضاً من نماذج القيم التي استنبطناها من مؤلفات علم القراءات، وتراجم رجاله، ووجوه قراءاته، ولولا خشية الإطالة لعرضنا نماذج كثيرة، ولعل فيما تقدم عرضه التحفيز لأبحاث أخرى في هذا المجال، وقد خرج البحث بجملة من النتائج والتوصيات نسوقها في الآتي:

نتائج البحث:

من أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث:

1. علم القراءات حافظ على أعظم قيمة تميز هذه الأمة على الإطلاق، وهي قيمة اتصال السند بالنبي ﷺ.
2. هناك علاقة وطيدة بين القراءات والقيم الإسلامية، فالقراءات تعد مصدراً أصيلاً للقيم.
3. تراجم القراء زاخرة بالقيم العلمية والتربوية والروحية.
4. الكتب المصنفة في القراءات سواء كانت متوناً أم منظومات تحوي قيماً جليلاً ومتنوعة.
5. ثراء المنظومة القيمية التي بنيت على القراءات بحيث شملت الفرد والمجتمع، وشملت المجالات التربوية والعقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

(1) المدخل إلى علم القراءات، عبد الله المنصوري، (ص: 47).

أهم التوصيات:

1. دراسة تراجم القراءات من الصحابة والتابعين واستنباط القيم منها.
2. دراسة مقدمات كتب القراءات وبيان أثرها في البناء القيمي.
3. دراسة منظومات علم القراءات لاستنباط ما وردت فيها من قيم ومضامين.
4. عمل دراسة تطبيقية لتفعيل القيم المستفاد من علم القراءات لتسهم في تحصيل الناشئة، وتثري المنظومة التعليمية والتربوية والأسرية والاجتماعية.

المصادر والمراجع:

المؤلفات:

01. أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م
02. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، التفسير البسيط، للواحدي، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.
03. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ-1979م.
04. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
05. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، بالاشتراك، المكتبة العلمية، 1979م.
06. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.
07. أبو الفرج المعافي بن زكريا بن يحيى الجري، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ.
08. أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
09. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
10. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، معرفة السنن والآثار، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.
11. أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهّران النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م.

علم القراءات ودوره في ترسيخ القيم الإسلامية: دراسة تحليلية

12. أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي، المعروف بالبخاري، مسند البخاري المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: عادل سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
13. أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي، كتاب السبعة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.
14. أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد العيسوي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط1، 1409هـ.
15. أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424هـ-2003م.
16. أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
17. أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، 1409هـ-1988م.
18. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م.
19. أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1997م.
20. أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، إبراز المعاني من حرز الأمان، دار الكتب.
21. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.
22. أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401هـ.
23. أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م.
24. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1996م.
25. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م.
26. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1996م.
27. أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، جامع البيان في القراءات السبع، الناشر: جامعة الشارقة، ط1، 1428هـ-2007م.
28. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، التيسير في القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.
29. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

30. أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيبي الشاطبي، حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، (الشاطبية)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط4، 1426هـ - 2005م.
31. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن معاني القراءات السبع، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1997م.
32. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط1، 2001م.
33. أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1412هـ - 1991م.
34. أحمد بن محمد البناء الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
35. أحمد بن محمد القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: سيد عامر عثمان، وآخرين، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، القاهرة، 1972م.
36. أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
37. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
38. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
39. الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربى، ط1، 1423هـ.
40. السيد الشحات أحمد حسن، الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر، القاهرة، 1987م.
41. سيد لاشين، بالاشتراك، تقريب المعنى في شرح حرز الأمانى، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط5، 1421هـ.
42. شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات القرآنية العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، تصوير دار الكتب العلمية.
43. شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م.
44. شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، منجد المقرئين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.
45. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م.
46. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق.
47. عبد الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادى للتوزيع، ط4، 1992م.
48. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1978م.
49. عبد الله عثمان المنصوري، المدخل إلى علم القراءات، مكتبة الصادق، صنعاء، ط3، 2009م.
50. عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم ابن السَّلَّار، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تحقيق: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 2003م.

علم القراءات ودوره في ترسيخ القيم الإسلامية: دراسة تحليلية

51. علي بن عثمان بن القاصح البغدادي، سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، مراجعة: علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط3، 1373هـ-1954م.
52. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
53. ماجد الجلال، تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة، عمّان، الطبعة الثانية، 1427هـ.
54. محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف.
55. محمد بن صالح العثيمين، تفسير سورة الكهف، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.
56. محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.
57. محمد بن عزير السجستاني، غريب القرآن، المسعى: (بزهة القلوب)، تحقيق: محمد أديب جمران، دار قتيبة، سوريا، ط1، 1416هـ-1995م.
58. محمد بن محمد بن محمد التُّوتري، شرح طيبة النشر، في القراءات العشر، تقديم وتحقيق: مجدي محمد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.
59. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.
60. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
61. محمد شديد، قيم الحياة في القرآن الكريم، مطبعة الشعب، القاهرة، د.ت، د.ط.
62. محمد عبد الرحمن الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ-1999م.
63. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.
64. محمد عزت دروة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.
65. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت.
66. محمود شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت، ط4، 1995م.
67. مقداد يالجن، نظرية القيم وتطبيقاتها التربوية، دار عالم الكتب، الرياض، 2012م.
68. نشوان بن سعيد الجَمَيرِي اليميني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري، بالاشتراك، (دار الفكر المعاصر، بيروت)، و(دار الفكر، دمشق)، ط1، 1999م.
69. نصر بن علي بن أبي مريم، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط1، 1993م.

المقالات:

70. عبد الحميد الهاشمي، بالاشتراك، البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم، بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة، مركز البحوث التربوية والنفسية، ط1، 1980م.

71. عبد الله عثمان المنصوري، تكامل المعنى بين القراءات في سورة الكهف، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، جامعة تعز، فرع التربية، العدد (7)، ديسمبر 2019م.
72. مروان إبراهيم القيسي، المنظومة القيمية الإسلامية كما تحددت في القرآن الكريم والسنة النبوية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، المجلد (22)، العدد (6)، 1995م.
73. مروان إبراهيم القيسي، سلم القيم الإسلامية من منظور إسلامي، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 31، العدد (2)، 2004م.
- الرسائل العلمية:
74. سوزان نبيل الشرايري، المنظومة القيمية في سورة الإسراء وتطبيقاتها الأسرية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، إريد، 2012م.
75. عبير محمد ضيف الله مقابلة، عصام سليمان أبو بكر، العلاقة بين القيم الدينية والأمن النفسي لدى طلبة جامعة اليرموك، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، عمان، 1993م.
76. علي سعيد شومان، القيم التربوية التي تضمنها السؤال والجواب في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن، علي سعيد شومان، 1993م.
77. فائزة عبد الله قحطان، القيم التربوية الممارسة لدى طالبات جامعة تعز في الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، 2002م.
78. القيم الإسلامية المتضمنة في كتب التربية الإسلامية للصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الأساسية في الأردن، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، الأردن.